حفرية تل ذيبان الأثري موسم ٢٠٠٢

باسم المحاميد

المكان والسكان

يقع تل ذيبان الأثري على الطريق السلطاني، وعلى بُعد ٦٤كم عن مدينة عمان، ٣٣كم عن مدينة مادبا، بين وادي الوالة شمالاً ووادي الموجب جنوباً. وهو من أقدم الوحدات الإدارية في المملكة، فقد أسست أول وحدة إدارية في ذيبان إبّان العهد التركي على مستوى مديرية ناحية ورفعت إلى قضاء بتاريخ ١٩٩٦/١/١م.

تبلغ مساحة ذيبان ٥٣٦كم، ما يشكل نسبة ٧٠٪ من مساحة محافظة مادبا، وهذه المساحة تقسم إلى ثلاث مناطق مختلفة التضاريس:

١- مناطق سهلية وتسمى مناطق الكورة
٢- مناطق جبلية وتسمى جبل بني حميدة
٣- مناطق شبه غورية تكثر فيها الينابيع ومصادر المياه

ويتصف مناخ لواء ذيبان بمناخ البحر المتوسط، ويتراوح معدل سقوط الأمطار بين (٢٥٠- ٣٠٠ملم) ويبلغ عدد سكانها حوالي ٤٣ ألف نسمة، يقطن حوالي ١٦ ألف نسمة منهم في ذيبان الجديدة، معظم سكانها من عشائر الحمايدة "وورد في سبائك الذهب للسويدي ذكر قبيلة تُدعى الحميد، وقال عنها أنها بطن من الغزية من هوازن يسكنون في جبال السروات بين نجد وتهامة وذكر السويدي والقلقشندي أيضاً قبيلة الحميدين من بطون أولاد نجيب بن هلبا سويد من جذام ومنازلهم الجوف وقبيلة الأحامدة من جرم طي ومنازلهم بلاد غزة.

والأرجح أن بني حميدة هم الحميديون من هلبا سويد من جذام ويؤيد ذلك ما يروى عنهم أنهم قدموا إلى شرقي الأردن من وادي السياح شمال الحجاز وليس أدل على ذلك من نخوتهم (ولد السياح) نزلوا أولاً في الكرك ثم نزح فروع منهم إلى البلقاء"[١] .

موقع تل ذيبان الأثري وأهميته

الموقع عبارة عن تلين متجاورين أحدهما مملوك لدائرة الآثار العامة (التل الشمالي)، والآخر يقع حالياً تحت بلدة ذيبان الجديدة (التل الشرقي)، التل الشمالي عبارة عن ربوة ترتفع على سفح جبل، يحيط بها وادي سحيق من جهة الشمال والغرب والجنوب، ومن الشرق تلتصق بالتلة الثانية كلما أسلفنا تقع تحت ذيبان الجديدة، وهذا التل يعتبر كبير نسبياً، حيث تبلغ مساحته حوالي ١٤٩ دونم وتشكل قمته ما يقارب ٢٠٠م شرق غرب و١٥٠م شمال جنوب، ومن المعتقد أن هذا التل كان محاطاً بسور دفاعي بنيت معظم أجزاءه في الفترات الإسلامية.

تعود أهمية هذا الموقع لمحاذاته الطريق السلطاني، وكذلك الاكتشاف الهام عن ما يسمى مسلة ميشع عام (١٨٦٨م)، الذي عثر عليه سائح ألماني يُدعى (كلاين) في ذيبان، ثم أن مستشرقاً فرنسياً وهو (كلرمون غانو) أخذ صورة عنه وتمكن من شراء معظم أجزاءه، ويوجد هذا النصب حالياً في متحف اللوفر في باريس[٢] وهو يحتوي على نقش تذكاري أُعد من قبل ميشع ملك مؤاب في سنة ٨٣٠ ق.م، وفي هذا النقش يصور ميشع انتصاراته على ملك إسرائيل وكيف أنه استطاع تحرير أرضه عن الاحتلال كما جعل من ذيبان عاصمة له ووسع ملكه وحرص على سلامة شعبه وعلى خيرهم، وحصّن المدن بالأسوار ورمم الطرق وحفر برك المياه والآبار.

جميع هذه العوامل أدت إلى جذب كثير من الدارسين في علم الآثار لزيارة الموقع أمثال دونكن ماكنزي عام ١٩١٠، الذي توقع وجود بوابتين في التل، واحدة في الجزء الشرقي الشمالي من الهضبة، وأخرى في الجزء الشمالي الغربي، كذلك البرايت الذي وصف التل بأنه مغطى بالتراكمات العربية (أي الإسلامية) بشكل كامل، وأثناء زيارته للتل عثر على كثير من الكسر الفخارية التي تعود للعصر الحديدي الأول، وذكر أنه لم يلاحظ وجود ينابيع في الجوار، كما أكد على عدم وجود استيطان في العصر البرونزي.

أما نلسون جلوك أشار أنه أثناء زيارته للتل عثر على أدلة أثرية تعود إلى العصر البرونزي المبكر والمتوسط، وفي الجزء الشمالي الشرقي من التل جمع كسر فخارية نبطية ملونة ورومانية وبيزنطية وإسلامية، ولاحظ وجود الآبار والكهوف التي أُعيد استخدامها في فترات كثيرة، وتوقع أن ذيبان كانت مستوطنة كبيرة في العصر البرونزي ومحاطة بسور كبير.

كذلك اجريت أربعة مواسم من الحفريات المنظمة في التل وهي:

الموسم الأول عام ١٩٥٠- ١٩٥١بإشراف فردونت
الموسم الثاني عام ١٩٥٢بإشراف وليم ريد
الوسم الثالث عام ١٩٥٢-١٩٥٣باشراف دوجلاس توشنجهام
الموسم الرابع عام١٩٥٥ باشراف وليم ريد

---

١. اللفتنانت كولونيل فردرك بك " تاريخ العشائر الأُردنية".

٢. الأب جورج سابا والأستاذ روكس العزيزي " مادبا وضواحيها ".

حفريات تل ذيبان لموسم ٢٠٠٢

أهداف المشروع:

يستطيع الزائر إلى موقع تل ذيبان أن يلاحظ ذلك الإهمال والنسيان الذي يغرق فيه هذا الموقع الهام والذي كان في أحد الأيام محج لأهم وأشهر علماء الآثار في العالم، والآن في زيارتك إلى تل ذيبان لا تشاهد سوى الخراب الناتج عن الحفريات السابقة والحفر العميقة جداً التي تزيد في بعض الأحيان عن ثمانية أمتار والجدران المتهدمة، ولا يمكنك أن تتعرف على صبغة أي مبنى في هذا التل الضخم.

ولذلك فإن هذا المشروع يهدف إلى

١- تنظيف التل من الأوساخ المتراكمة والأعشاب الزائدة.

٢- إجراء أعمال حفر في منطقة الحمام الروماني والتي كُشف عن أحد غرفه في السابق، ولم يتم تحديد تاريخه بشكل ثابت.

٣- استخدام الأتربة الناتجة عن الحفريات الحالية في طم الحُفر العميقة الناتجة عن الحفريات السابقة (**الشكل ١**).

٤- إجراء أعمال تثبيت وتقوية للجدران المكتشفة في السابق والتي يُكشف عنها أثناء الحفر للحفاظ عليها من الاندثار (**الشكل ٢**).

بداية تم اختيار المنطقة الشمالية الشرقية من التل لفتح خمسة مربعات، ويعود اختيار هذه المنطقة للأسباب التالية:

١- متابعة أعمال الحفر في منطقة الحمام الروماني الذي كُشف عن جزء منه في حفريات توشنجهام عام ١٩٥٣، لم يكن هنالك تأكيد هل هو روماني أم أيوبي مملوكي حسب ما ذكر نلسون جلوك، فكان هذا الموسم إستكمال لاعمال الحفر في هذا الحمام.

٢- قرب المنطقة من أحد الحفريات السابقة والمراد إعادة طمها وذلك لعمق المستوى المحفور عليه.

٣- هنالك إزالة كاملة لجزء من السور الدفاعي الخارجي الرئيسي في هذه المنطقة لذلك تقرر إجراء أعمال إعادة بناء لهذا الجزء.

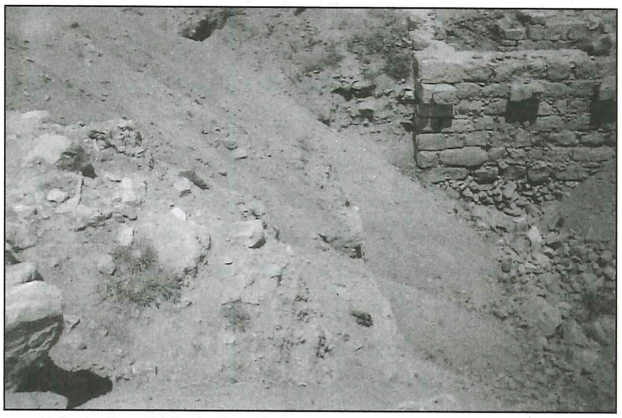

١. طم الحفر العميقة الناتجة عن الحفريات السابقة.

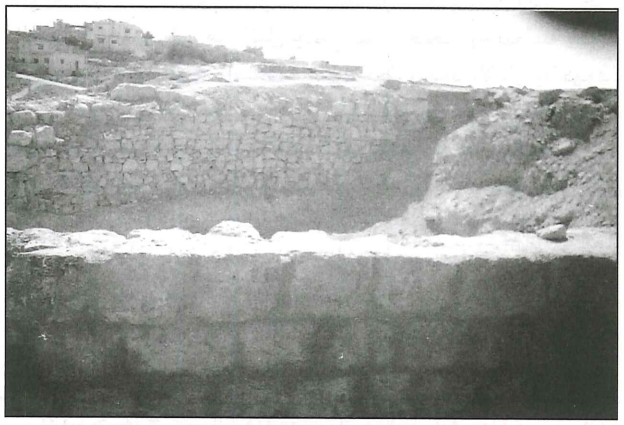

٢. ترميم الجدران المنهارة.

النتائج

من خلال أعمال الحفر تبين أن ذيبان في الفترة الأيوبية المملوكية كانت مستوطنة كبيرة نسبياً وذلك عائد لكثافة الاستيطان داخل التل في تلك الفترة، كما نلاحظ إعادة استخدام لكافة الظواهر المعماريه على التل، وفي دراستنا لهذه الفترة سنتناول ثلاثة جوانب:

١- العمارة

٢- الفخار

٣- النقد

العمارة/ تل ذيبان الأيوبي المملوكي

أثناء أعمال الحفر في المربعات تبين أن هنالك أرضيات صنعت من الحور يعود تاريخها إلى الفترة الأيوبية المملوكية وأهم ما يمكن ملاحظته وجود إعادة استخدام واستفادة من جميع الجدران القائمة أصلاً في التل وإضافة جدران أُخرى حتى تستخدم كغرف صالحة للسكن (**الشكل ٣**).

لم يسعفنا الحظ في هذا الموسم التنقيب في أحد المباني العامة، فجميع الغرف التي حفرت هي مساكن خاصة، وكان هنالك غرفة يمكن ملاحظة الاعتناء بها من خلال الأقواس التي لا زالت قائمة حتى الآن، وهذه الغرفة مبنية على غرفة الحمام الدافئة -لم يستخدم الملاط في بناء الجدران الأيوبية المملوكية بل استخدم الطين في تثبيت الجدران- و في هذه الغرفة استخدمت الحجارة المشذبة التي كانت تشكل الصفوف العليا من جدران الحمام لتشكيل أربعة أقواس تحمل سقف هذه الغرفة، ما زال إثنان من هذه الأقواس قائمان من الأقواس الأربعة (**الشكل ٤**)، ويمكن الدخول إليها بواسطة بوابة كانت أصلاً تربط الغرفة الدافئة مع الغرفة الساخنة في الحمام.

أثناء الحفر على أرضية الغرفة عثر على جرة يوجد بداخلها خمسة عشر قطعة نقدية تعود للفترة المملوكية، وهذه الجرة اعيد استخدامها وهي ذات طابع عباسي صنع لها غطاء من الطين المجفف في الفترة المملوكية (**الشكل ٥**).

لوحظ إعادة استخدام لغرفة الحمام الساخنة، وهي ذات مخطط على شكل صليب متساوي الأضلاع يبدو أنه تم عمل درج في الجهة الشمالية من هذه الغرف يؤدي إليها في الفترة

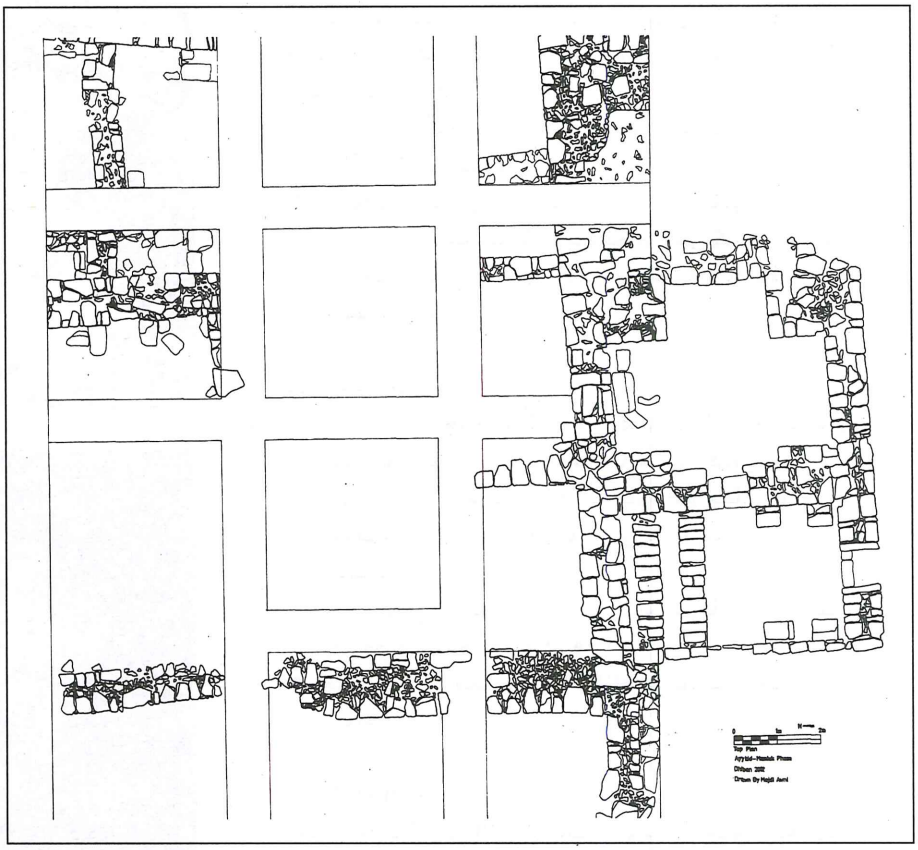

٣. مخطط يمثل مرحلة الاستيطان في الفترات الايوبية المملوكية في تل ذيبان.

٤. أقواس الغرفة التي تعود الى الفترات الايوبية المملوكية المبنية من المدماك الأخير لغرفة الحمام الدافئة.

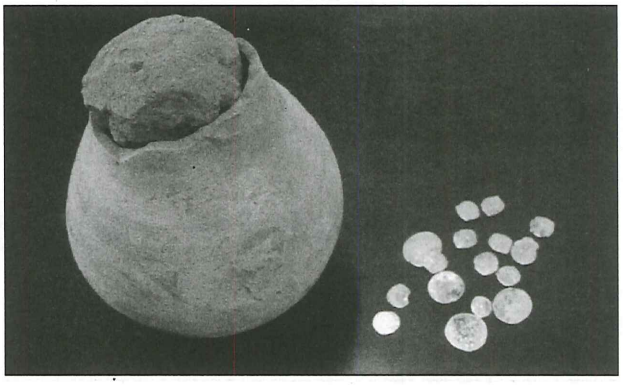

٥. جرة فخارية عباسية أعيد استخدامها في الفترة الايوبية المملوكية.

المملوكيه (**الشكل ٦**)، كذلك عثر على طابون للخبز صنعت قاعدته من حجر بازلتي يستند على ارضية هذه الغرفه.

الفخار الأيوبي المملوكي

لقد عَرفت بلاد الشمام في هذين العهدين أساليب مختلفة لصناعة الفخار ومن الملاحظ أن هذه الصناعة كانت متذبذبة في درجة إتقانها فمن فخار خشن رديء الصناعة خالي من الزخارف والعناصر الجمالية إلى فخار جيد ومدهون وآخر مزجج ومتقن الصنع ويعود سبب ذلك إلى طبيعة الظروف السياسية في هذه المنطقة في تلك الحقبة التاريخية حيث تعرضت إلى أعتى الحروب وكان الخطر يداهمها من كل الجوانب فمن الشمال خطر المغول ومن الغرب خطر الفرنجة، ومن هذا المنطلق نستطيع أن نبين لماذا كانت صناعة الفخار رديئة في بعض الأحيان ولماذا كانت مزدهرة في أحيان أُخرى.

امتاز الفخار في هذه الفترة بتركيب الزخارف عليه فمن زخارف هندسية اختلفت أشكالها محصورة ضمن أشرطة متكررة ظهرت على عنق ويد الإناء إلى زخارف نباتية وأشكال حيوانية محورة وكذلك كتابات بالخط الكوفي والنسخي ولقد عزى كثير من الدارسين ملئ سطح الإناء بالزخارف لإخفاء عيوب الصناعة. فكانت أنواع الفخار في هذا العصر:

١- فخار مصنوع باليد وهو الأكثر انتشاراً
٢- الفخار المصنوع بالقالب
٣- الفخار المصنوع بالدولاب

أما بالنسبة لفخار حفرية ذيبان الأيوبي المملوكي فقدت جمع كثير من الكِسر الفخارية التي تعود إلى هذه الفترة وكان هذا الفخار ينقسم إلى قسمين:

١- الفخار المصنوع باليد، الذي يحمل الكثير من الزخارف والأشكال الهندسية.

٢- الفخار المزجج، عثر على عدد ليس بقليل من الكِسر الفخارية المزججة، وأهم قطعة هي كِسرة فخارية مزججة كُتب عليها كلمة (المجد) بالخط الكوفي (**الشكل ٧**).

٦. الدرج المملوكي الذي يخترق غرفة الحمام الساخنة.

٧. كسرة من الفخار المملوكي المزجج كتب عليها (المجد).

النقد المملوكي

تمثل النقد بالمجموعة التي عُثر عليها داخل الجرة سابقة الذكر، هي جميعها من الفضة وعددها خمسة عشر:

١- قطعة واحده ضرب الملك الناصرناصر صلك حماه.

٢- قطعتان ضرب الظاهر بيبرس لم تظهر عليها مدينة الصلك.

٣- ثلاثة قطع ضرب قلاوون لم تظهر عليها مدينة الصلك

٤-اربع قطع ماسحة لا يمكن قراءتها.

٥-خمسة قطع ضرب الملك الناصر ناصر محمد صلك القاهره.[٣]

الفترة الرومانية

بعد الوصول إلى الأرضيات الأيوبية المملوكية أُزيلت الفواصل بين المربعات التي كانت فوق الحمام الروماني لمعرفة

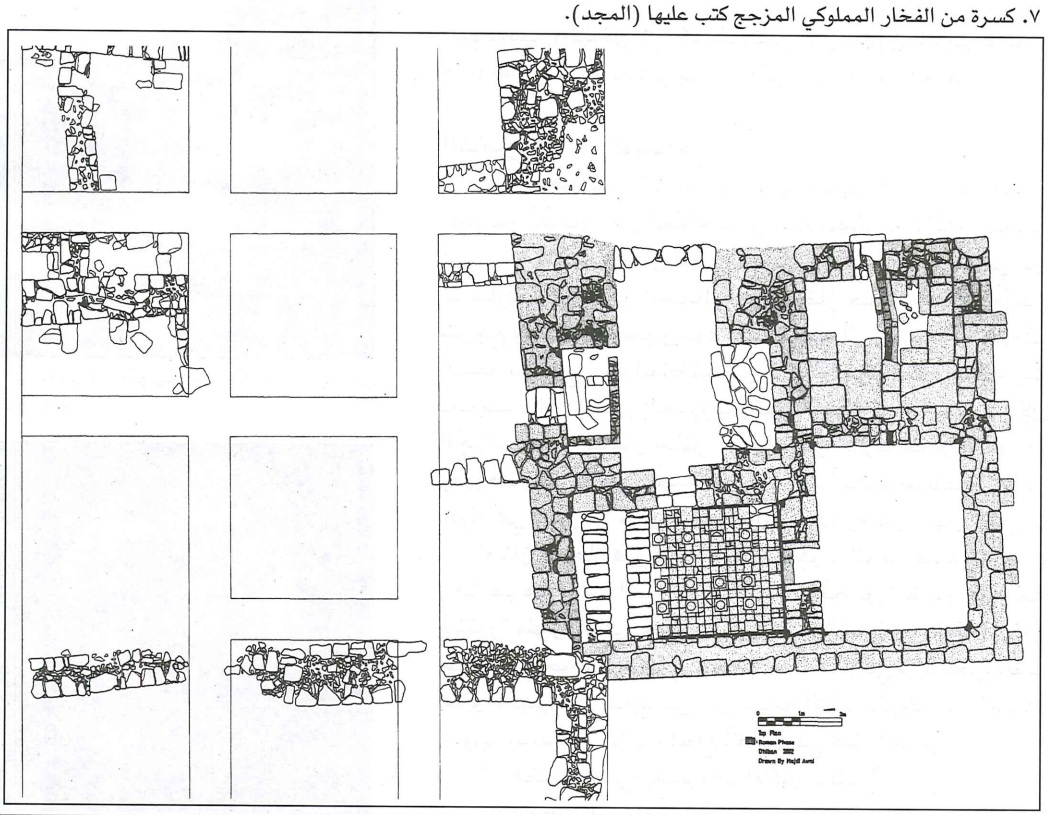

٨. مخطط الحمام الروماني.

٣. ساعدت السيدة عايدة نغوي بقراءة القطع النقدية.

كيفية إعادة الاستخدام لهذا الحمام، لذلك كان من السهل التعامل مع كل غرفه من غرف الحمام كوحدة توثيقية، وهنا تبين أنه يوجد أربع غرف (أنظر **الشكل ٨**).

١- الغرفه الباردة وهي محفورة سابقاً ولكن كانت مليئة بالأتربة والأوساخ فكان الحفر بها بشكل سريع، الغايه منه اظهار الجدران من أجل الترميم.

٢- الغرفة الدافئة و تقع أسفل الغرفة المملوكية ذات الأقواس الأربعة، ولقد حفر نصف هذه الغرفة فقط من الجهة الجنوبية، وذلك لأن القوسين الجنوبيين منهارين أما القوسين القائمين اجريت لهما أعمال تقوية وتثبيت للحفاظ عليهما، أثناء الحفر في هذه الغرفة كشف عن مجموعة من الأعمدة المصنوعة من الطوب الحراري، يوجد لها قاعدة تحمل تاجية وهذه التاجية تحمل قوس، ومجموعة الأقواس تحمل أرضية هذه الغرفة (**الشكل ٩**).

٣- غرفة تغيير الملابس وهي غرفة صغيرة مجاورة للغرفة الساخنة تكون أول غرف الحمام، تؤدي إلى الغرفة الباردة بلطت أرضيتها بالحجارة المشذبة الكبيرة نسبياً، توجد أسفل أرضيتها قناة تحمل المياه للخارج. للأسف لا يمكن لنا الاستفادة من الفخار على أرضية هذه الغرفة وذلك لاستغلالها بعمل ثلاثة قبور عليها وواحد أسفلها، من الملاحظ أنه أعيد استخدامها في الفترة المملوكية وذلك لوجود بوابة في الجهة الشرقية منها.

٤- الغرفة الساخنة: وهي الغرفة الرئيسية للحمام ذات شكل مصلب، يوجد في ثلاثة من أضلاع المصلب أحواض استحمام، أما الضلع الرابع توجد به بوابة تؤدي إلى الغرفة الدافئة.

لا زالت بقايا أحد هذه الأحواض موجودة في الجهة الشمالية من هذه الغرفة، ومن المعتقد أن هذه الغرف لها سقف على شكل قبة، خلال اعمال الحفرفي هذا الحمام كان أهم سؤال يتردد هو اين توجد بوابة هذا الحمام ؟. لم نعثر على هذه البوابة ولكن عند العودة إلى التقارير المنشورة سابقاً تبين أن هنالك قاعة هي جزء من بناء الحمام حمل سقفها، على خمسة أقواس في الجهة الجنوبية، تستند على جدار الغرفة الباردة وغرفة تغيير الملابس، وتربط بوابة بينها وبين غرفة تغيير الملابس، للأسف أزيلت هذه القاعة من قبل توشنجهام سابقا لعدم معرفته بأنها قاعة الأستقبال التابعة للحمام الروماني.

٩. أعمدة الطوب المشوي التي تحمل أرضية الحمام الروماني.

التوصيات

أولاً: أهم المظاهر المعمارية في التل هو المعبد النبطي لذلك نوصي بإجراء أعمال صيانة وترميم لهذا الأثر الهام جداً.

ثانياً: الكشف عن الجدار الخارجي للتل والذي يعتقد أنه بحالة جيدة، حتى يبرز تل ذيبان كقلعة محصنة.

ثالثاً: إتمام أعمال الحفر في الحمام الروماني وعمل صيانة وترميم كاملة لهذا الأثر والذي يمثل مرحلة تاريخية مميزة مر بها تل ذيبان.

باسم المحاميد

دائرة الآثار العامة

المراجع

١ - قائمة المراجع العربية

زيادين، فوزي
١٩٨٢ الحفريات الأثرية، **حولية دائرة الآثار العامة**، المجلد ٢٦.

ساري، صالح خالد
١٩٦٨ **الفخار الأيوبي المملوكي في بلاد الشام**.

سروج، بسام وسروج، إبراهيم/ معرب
١٩٩٤، **النقود العربية الإسلامية**.

شما، سمير
١٩٨٠ **النقود الإسلامية التي ضربت في فلسطين**.

طوقان، بهاء الدين/ معرب
تاريخ شرق الأردن وقبائله.

المبيض، سليم عرفات
١٩٩٩ **النقود الفلسطينية (١٩٢٧ - ١٩٤٦)**، سلطة النقد الفلسطينية.

٢ - قائمة المراجع الأجنبية

Hendrix, R.E, Drey, P.R, and Storfjell, J.B.
1996 *Antient Pottery of Trans jordan.*
Mackenze, D

1913, Dibon: The city of King Mesha and of the Moabite Stone. *PEFQS*: 57-79.
Morton, W.H
1955, Report of the Director of the school in Jerusalem. *BASOR* 140: 5-6.
Sauer, J.
1975, Book Review. *ADAJ* 20: 103-109.
Tushingham, A.D.
1972, The Excavations of Dibon Dhiban in Moab, *AASOR* 40.
1990, Dhiban Reconsidert King Mesha and his Work. *ADAJ* 36: 183.
Winnett, F.V. And Reed, W.L.
1964, The Excavations of Dibon Dhiban in Moab *AASOR* 36, 37.